ديزيره سقال

الصحراء

٢٠١٨

ديزيره سقال

الصحراء

٢٠١٨

مزامير الصحراء

- ١ -

رملٌ – جسد

جسد بلا ملامح

وجه رمليّ تتهاوى فيه الساعات/ عينان غائبتان/ فم بلا هيئة/ والساقان هواء بُنّيّ بلا رائحة.

قوافلُ تمرُّ على المدى المنْسَربِ
كأنَّــهُ... قوافــلُ تمــرّ/ لحظــاتٌ/
ساعاتٌ/ دهورٌ/ أبَدٌ/ والرملُ صدًى
لبقيّةِ المنظـر/ قوافـل مـن زمـنٍ بائـرٍ/
جِمـالٌ مـن هـواء/ بشرٌ لا تشبه شيئًا
على حاجبِ الأفقِ المقفلِ فوقَ قبّةِ
الأرض/

رمل – جسد

الرملُ شكلٌ للجسد/ الجسدُ
هـوّةٌ نحـو الرمـل = الرمـلُ يقـود إلى

الجسد/ قوافل على المدى المنسرب:
سِربالٌ من سماءٍ بلا ملامحَ/ بلا
نجومٍ/ سرابٌ يتسربلُ في الرمل/
سرابٌ في الفمِ الذائبِ منذُ أبدٍ/
سرابٌ
بينَ
الحبّةِ
والحبّةِ
فوقَ
الأرضِ

رمل — زمن

الزمنُ سفنٌ في سواقي السديم
الرمليّ/ شَعْبٌ شارد على شآبيبِ
الأسى والسراب/ سماءٌ مسفوكةٌ كدم
الضعيف/ الزمنُ فَخٌّ للجسد/

وطنٌ لعذاباتِ القافلةِ الراحلةِ في الرمال
فوقَ القفر الفائر/
وطنٌ فائرٌ كالرمل –
الصحراءُ
صرخةٌ صامتة

لصبرِ العالم/
وطنٌ مَيْت من صفاقةِ الرمل
وصلابةِ الهواء/
أرضٌ من غيرِ جهاتٍ/
جهاتٌ ولا أرض/ تَساوٍ في الدقّة

الوجه سَراب = السراب وجه
الصحراء مدًى = المدى صحراء
صمتُ الفراغ = فراغ الصمت

لا زمان
لا مكان –

هـوَ السـلامُ الغريـبُ في الليـل
الغريــب/ غَــرِقَ الوجــهُ في غســقِ
الغمـوض/ غَـرِقَ الغـروبُ في الرمـل:
بينَ الحبّةِ والحبةِ أرضٌ وفضاءٌ ضيّقٌ
كالقشّــةِ ضــائعٌ بــينَ الصــحراءِ
والصحراء/

لا زمانَ
لا مكانَ –

كلُّ شيءٍ سراب!

وطن – صحراء

على حافّةِ أرضي حُفَرٌ للدموع
والصدى حزمةٌ من الصمتِ
كالحقيبة/ على حافّةِ أرضي بقيّةٌ من
حطبٍ (قِيلَ: شعبٌ) ومدًى مفتوحٌ
على الفراغ

وطن – صحراء

كنتُ أنجذر في دائرةِ الغروب
يدايَ عَوسَج يدور على آبار الرمل/
كنتُ أفتقد دمارًا دائريًّا يُدَمدِم
حولي/ كنتُ أكتبُ لغةَ الرملِ بينَ
الغيمةِ والغيمةِ/

أسأل
الفراغَ
عن
منزلٍ

في
الفراغ

وطن – صحراء

نشيدٌ/ نشيدٌ صامت/
نشيدٌ ينشج فارغًا كالصمت/
نشيدٌ سَرابيّ ينتشرُ على الرايةِ
المطأطأةِ فوقَ عينَي الوطنِ الشريد/
نشيدٌ من صمتٍ فوقَ عينَي الوطِن
الشريد/ نشيدٌ من صمتٍ وبردٍ على

الكفِّ الشماليّةِ (أو الجنوبيّةِ) شامخٌ
شُموخَ السراب/ نشيدٌ له رائحةُ الرملِ
أَمْلَسُ كالشفرةِ/ قاطعٌ كالشفرةِ/
نشيدٌ يُسائلُ ويُجيبُ لا يشمتُ ولا
يزهو/
نشيدٌ كنشيجِ الموتِ يؤذّنُ بالفجرِ
شريكًا له/ نشيدٌ غريبٌ كالصمت
(ويتكرّر كلَّ يوم منذُ فجرِ الخَليقةِ)
نشيدٌ شاردٌ كشآبيبِ السرابِ/ نشيدٌ
شامتٌ نستشيرُه في صراعاتِنا المهزومةِ
(حتى في انتصاراتها) نُشْرِكُه عَجَبَنا/
نُشاركه/ نشيدٌ كالملحِ يَصْفقُ على

عيوننـا/ نشـيدٌ كالرمـلِ في صـحراءِ
الشرودِ/
وطن – صحراء

وطـني صـدى الحَطَـبِ في طَقْطَقَـةِ
الطُرُق/
وطني طُرُقُ الغرابةِ في طَرَفِ الأوطان/
وطني وجهٌ بلا ملامحَ
(عينانِ من ضبابٍ
أنفٌ طريٌّ من دخانِ
والفمُ صوتٌ سَرابيٌّ
يطيرُ في فضاءٍ طاعنٍ في الفراغ)

وطني فردوسُ الكلام
نِثارٌ من القبائلِ على خارطةِ الرملِ
حيثُ الأفقُ انتهاءٌ
وفرَحُ الرملِ حزنُ الينابيعِ
والشجرُ لغةُ الصدى على حدودِ
اليباس/

وطني فردوسُ الكلامِ
حيثُ اللغةُ ليست لغةً
بل هَباءٌ طويلٌ

على تاريخٍ ينفجرُ شظايا وأشلاءً/

وطن – قبيلة

وجهي شظايا من خِيَام القبائل
تحمل الريح إلى أتّون المفازَة –
تيهٌ وتكونُ الأبجديّةُ
بِلا حروفٍ ولا كلماتٍ/
تيهٌ ويكونُ الوطن
سَرابًا لأبجديّةٍ من سَراب/
تيهٌ والنشيدُ حروفٌ صَمّاءُ

من سَرابٍ بلا حدودٍ،
من ذاكرةٍ ثَقَبَها الصدى
على عُمرٍ خارجَ الزمان/

- ٢ -

العينان شاهدتان فوقَ قبورِ الصحراء –
بابُ الدخولِ إلى الموتِ
عينانِ شاهدتانِ/ وجهي
وطنٌ شَظايا

وجهي تاريخٌ من نزيفٍ هادئٍ يَنْسَرِبُ عبرَ الذاكرةِ في هواءٍ صَلْدٍ/ يضربُ الصدى بينَ الآنِ والآنِ/ بينَ القولِ والقولِ/ بينَ
ٱلصرخةِ

والصرخةِ

وعوي... يـ... لِ الصمت/

وجهي قافلةُ التاريخِ تحملُ القطنَ المحروقَ إلى ذاتِها دؤوبًا/ لا شيءَ سواها/ لا زمانَ سواها/ لا عَويلَ سِواها/ وهي السرابُ السرّيُّ في أزمنةِ العطشِ راحلًا

بين

الحبّةِ

والحبّةِ

على ملاءاتِ الرمال/ وجهي وطنٌ لَمّا يَصِرْ وطنًا – صارَ شيئًا كالأشياءِ أو مصادَفَةً عميقةً كالآل/

(كان بيني وبين المدى المشرئبِّ إليَّ
رحيلٌ طويلٌ إلى التيهِ أو
زمنٌ فارغٌ من فضاءاتِهِ/
ويمشي إليَّ الصدى المستفيقُ
على ثلجِ آهاتِهِ/
أَتُرى يوقِظُ الليلُ فجرًا
رطيبًا
يُخبّئُ صوتَ الطفولةِ مِلْءَ عباءاتِهِ/)

وطنٌ
ثمَّ لا شيءَ سوى طبعِ الرماد/

وطنٌ
ثمَّ حلمٌ يموتُ على رمالِ الصحراء/

(كان بيني وبينَ الطفولةِ
عينٌ وشَلاّلُ ماءْ
ومدًى يسحبُ الأفْقَ نحوَ امتداداتِهِ
ليصيرَ صبايا تَرَجَّحْنَ عندَ حدودِ السماءْ
وطفلًا تحصَّنَ في ذاتِهِ
وعمرًا ينادي المدى المستحيلَ
ونجمًا يزخرفُ هذا النداءْ/)

وطنٌ
ثمّ لا شيءَ سوى القَهرِ الطويل ؟

- ٣ -

يستفيق الظلّ في وجهي ويبقى
خارجَ الوقتِ/ كأنّ الوقتَ غاباتٌ
من الرملِ الذي يَصْدَأُ فيه العابرونْ/
والفضاءُ الصَلْدُ مَفتوحٌ
على تيهٍ بحجمِ القلبِ/
صبرٌ/ والشُجونْ
وطنٌ كالآلِ يَجْتَرُّ الظنونْ

وحدَهُ الرملُ
بقايا زمنٍ طارت على آفاقِهِ الدنيا
وأغوَتْهُ المنونْ ؟

قصيدة الصحراء

سُـدّي مَنافـذَنا إليـكِ أَوِ ٱفتحيهـا، لا فـرقَ، فالعَيـاءُ البَطَـلُ يقـرعُ طبولَـه، والـوطنُ الـذائبُ بـينَ شفتَيَ النعاسِ شَطَّطَ الغِيابُ فيه وٱستَكان.

سُـدّي مَنافـذَنا إليـكِ، أَوِ ٱفتحيهـا، أيّتهـا الصحراء —

لا الوقتُ وقتٌ

ولا الغيابُ غيابٌ/

لا الليلُ ليلٌ

ولا النهارُ نهارٌ

والبَشَـرُ يرحلـونَ في الـوطنِ الزئبقـيِّ خُطًـى ثقليةً في التيهِ البارِدِ كالحجر...

ما رَمْلُكِ المزَغْرِدُ تحتَ تَوَهُّجِ الشمسِ المحرِقة؟
ما الزمنُ المبَعثَرُ فيكِ كالصدى؟

مِـنَ الهجيرِ المشـرئبِّ كالصـاريةِ يَتَـدَلّى وجـهُ الـوطنِ، مَهْجورًا، يَتَهـادى مِنْ مَهامِهِ التيهِ: مُبْهَم، مُنهَمِرٌ

كالليلِ

البَهيم...

وجهُكِ
باردٌ
كهشاشةِ الحضورِ
أو كالرملِ الهاوي فوقَ الآل.

وجهُـكِ صَـدانا حـينَ نَغْـتَرِبُ
في الوطن/ والوطنُ طَيفٌ عبرَ المسافةِ
الفارغـةِ/ وجهُـكِ ألـفُ موكـبٍ يفـتحُ
أعراسَــه في الصــمتِ/ ينفــتحُ فيــه/

وجهُـكِ الـردى المفْـتَرُّ في ألَـقِ النَفـيِ
وٱفتراءِ الحضور/

أوّاه!

سُـدّي منافـذَنا إليـكِ، أوِ ٱفتحيهـا، أيّتهـا الصحراءُ الجاثمةُ على بلاهة الزمن، أيّتها الراحلةُ في حضـورِ الـوطنِ الأخـرسِ، وٱنهمـري علـى إيقـاعِ الرتوب: لا شيءَ يقرأُ الأفقَ المقفلَ، لا شيءَ يطرقُ بابَ المسافةِ إلاّكِ.

سدّي منافذَنا إليكِ أوِ ٱفتحيها،

اقفلـي المشـهدَ. لا شـيءَ سـوى غمغمـةِ الغياب.

لا وقتَ. لا حضورَ.

لا اتّصالَ. لا رؤى.

كلُّ شيءٍ سَراب.

(في السـرابِ حِـسٌّ غريـبٌ
لِسَيْرِ القبائلِ في الوطن/ في السرابِ
شـعبٌ سَـراب/ سَـفَرٌ إلى سـنواتِ
السكون أو أَبَدِ الصدى / رحيلٌ في
الحسِّ الغائبِ

وفيـــهِ ←

يُسـفَكُ المشـهدُ ليكـونَ السـأمُ/ فيـه
يتسلسَـلُ المـبهَمُ وينسَـدِلُ الصـمتُ
على عَراقةِ السَرابِ المقيمِ كالوطن/)

(وطنٌ – سَراب
شعبٌ – سَراب
أرضٌ مائعةٌ تستنفدُ المشهدَ
والرملُ بروجٌ منَ الأحلامِ في الهواء/)

سُدّي مَنافذَنا إليكِ، أوِ ٱفتحيها، لا فرقَ، فالرحيلُ الصَلْدُ إليكِ ينهَمرُ كالأبدِ، والراحلونَ قطعانٌ مِنَ الحَطَبِ المهْتَرِئِ (أَوْ شعبٌ صامتٌ كالسَراب).

سُدّي مَنافذَنا إليكِ، أوِ ٱفتحيها:

كلُّ دربٍ تنتهي إليكِ

كلُّ وجهٍ يتقمّصكِ في هذا المدى المفتوحِ على بَلاهةِ الرمالِ...

(امتـدادٌ غريـبٌ مـنَ السـرابِ
والصمت/
أفقٌ بلا لون/
ظُهـورٌ مُـبهَمٌ ويُخفيـهِ حضـورُ
وجـوهٍ بـلا ملامـحَ تَسُـودُ وتحكـم/
ظهـورٌ مُـبهَمٌ والمـدى قصـيدةٌ خرسـاءُ
بلا رنين)

لعلّها الإقامةُ في النَزْع/
لعلّه الرياءُ لابسٌ سَماءً من أسًى يَنسابُ على الرمل/

(السماءُ حِسٌّ هامدٌ كالفحمِ
ينسحبُ على صدى ٱلاستِحالَةِ/ أمامٌ
كالوراءِ/ سَمْتٌ حَمْضِيٌّ يُحرقُ الآتيَ ويُكرّسُ
السائدَ/ يَنسابُ على العيونِ ٱنسيابَ الرمل/
سماءٌ بلا لونٍ ولا سَحاب/
سماءٌ سامّةٌ كالصلِّ تنسربُ فوقَ
الصحراءِ/ تَعتاش بها/
سماءٌ نحاسيّة تُظَلِّلُ شعبًا هامدًا من
حَطَب/)

(نشيد)

نحنُ الذين ماتوا في الحياة

نحنُ الذين رقدوا وماتوا

لا وجوهُنا وجوهٌ

لا صوتُنا صوتٌ

– أشكالٌ حَطَبيّةٌ تتحرّكُ على المدى الممتدِّ

بلا غدٍ

وبلا آفاقٍ/

نحنُ الذين ماتوا في الحياة

نحنُ الصدى الهامدُ

في الوطنِ الهامد/

شعبٌ سَرابيٌّ تُصدَعُه الشمسُ ويُخفيهِ الليلُ
يرعى ظِلَّه في فَراغِ الصَبير/

(نشيد)

رحَلَ الضَجَرُ الساجي في حَبّاتِ الرملِ
سَفينَتُهُ وجَعٌ وضجيجُ البَحّارةِ صمتٌ غَطّى الزمنَ المكسورَ/ فراغٌ يَبرقُ في الأفْقِ/ يُنازعُ أحلامَ الناسِ المهدورةَ أو يجري كالطَوَفانِ على الليلِ:

رحيلٌ كمجيءِ الموتْ
وظلالُ الناسِ تَناثَرُ تحتَ جليدِ الصوتْ.

رحَلَ الضجَرُ البارِدُ في عينِ الناسِ ومَرَّتْ
أنفاسُ الصَّدَإِ العارِمِ فوقَ قيودِ الخَطَواتِ —
هنا
تَتَقَطَّرُ
أحلامُ
ٱلقَهْرِ
ويَستَوفي الليلُ جنازاتِ الصمْتْ

قَدَمُ الصبرِ تغورُ عميقًا في طبقاتِ الرملِ.

يغورُ السَّمْتْ

وتَغورُ الدنيا والوطنُ البائرُ والأشياءْ/

عَدَمٌ يترامى حولَ الخَلْقِ المتَفَحِّمِ أو ينمو كاللبلابِ على الأشياءِ ويمتدُّ إلى العينينِ وأعماقِ الظلماءْ

عَدَمٌ يتكوّمُ فوقَ مدى الصحراءْ

عدمٌ يتراخى عبرَ التكوينِ

ويبتلعُ الوطنَ المستغرقَ في طبقاتِ الرملِ البَلْهاءْ.

عدَمٌ عَدَمٌ

عَدَمٌ يَصْهَلُ في رؤُيا الشعبِ العَمياءْ.

سُدّي مَنافِذَنا إليكِ أوِ ٱفتَحيها، لا فرقَ،

بينَ العينِ والعينِ رملٌ

بينَ الشعبِ والشعبِ سورٌ صفيقٌ منَ العروقِ اليابسةِ والعظام،

سُدّي مَنافذَنا إليكِ أوِ ٱفتحيها، أيّتها الصحراءُ، فالشعبُ قبائلُ حَطَبٍ ورَمادٍ، والوطنُ النائمُ بَرْدٌ في قَرارةِ الردى.

مِنْ أَيْنَ تُشرقُ الشمسُ على نَبْتٍ أو يهطلُ المطرُ؟

مِنْ أينَ تنبلجُ الإلفةُ بينَ العقلِ والحضارة؟

مِنْ أَيْنَ تَنفتحُ البصيرةُ على نوافذِ الآتي؟
مِنْ أَيْنَ نَدخلُ إلى سهولِ الحياةِ والعدمُ
الباردُ رملٌ مُتحرّكٌ يبتلعُ الأقدامَ في صراخِ السأم؟

سُدّي منافذَنا إليكِ أوِ افتحيها، أيّتها الصحراء،
العرشُ الصامدُ يعدو فوقَ جماجمِ البائسين
والملوكُ تَسيلُ كالينابيعِ الذليلةِ تحتَ أقدامِ الطغاة.

وطنٌ يقومُ بلا مَدى.

وطنٌ يَصيرُ إلى صدى.

وطنٌ كطعنةِ صارمٍ في القلبِ/ لا حِسٌّ ولا ريحٌ يُحرّكُها هبوبٌ: كلُّ زَندٍ هادئٌ كالليلِ، كلُّ البائسينَ تمرُّ أعيُنُهم بقلبي

ويمرُّ طَبْعُ الذلِّ فوقَ صَفاقةِ الصحراءِ/ هلْ ريحٌ؟/ يمرُّ الشعبُ مثلَ طريدةٍ عبرَ الرمالِ ويحتمي بالموتِ/ هل ريحٌ؟/ مَرَرْتُ كما يمرُّ العائدونَ مِنَ الضَياعِ إلى الضَياعِ وكانَ في وجهي كوابيسُ العروشِ ومنظرُ الصحراءِ – وجهي كلُّ أحلامِ الجياعِ وكلُّ دمعِ البائسينْ

لا شيءَ...

لا أَمَلٌ يهبُّ على الجبينْ/
وطنٌ بحجمِ قرارِنا المنهوبِ
يحترفُ الضَياعَ، وشَعْبُهُ
صُوَرٌ تمرُّ على الرمالِ
فلا تُدانُ ولا تَدينْ...

شعبٌ كأحذيةِ الطغاةِ على المدى.
شعبٌ صدى —
كم كانَ يَفجَأُني الصدى فأُطاردُ
الأشباحَ بينَ قبائلِ الرملِ الشريدِ وأَفتحُ الماضي على

الزمنِ الذي يمتدُّ/ كم كانتْ على عينيَّ رُؤْيا البرقِ تُحتَضَرُ

وتَستجدي يدايَ رؤًى تَدارَكَها البَوارُ ووزّعَتها كالكَفافِ قبائلُ الوطنِ المسَجّى/ ليسَ بيني والمدى المزروعِ فَحْمًا غيرُ آهاتٍ تُناجي الشعبَ مقهورًا بصمتٍ موغلٍ في البَرْدِ/ ليسَ الفجرُ إلّا مستحيلًا في مدى الصحراءِ ينتظرُ

وسواعدُ الفقراءِ في الوطنِ المغَيَّبِ تحفرُ الرملَ الصفيقَ لعلَّ خصبًا ما يُطِلُّ مِنَ الغيابِ، لعلَّ وابلَ غيمةٍ يَهمي على رحِمٍ تَوَغَّلُ في اليَبابِ، لعلَّ برقًا عبرَ ليلِ الصمتِ ينفجرُ

ولعلّنا يومًا نصيرُ تَفَتُّحًا في عمقِ أَطباقِ الدُجُنَّةِ يَستفيقُ على مدًى مِنْ صوتِهِ الداوي، فيَحترقُ الردى —

شعبٌ كأحذيةِ الطغاةِ على المدى.

شعبٌ صدى.

(لوحة)

بينَ أَحلامِ الجياعْ

وطنٌ يَغرقُ في بحرِ الرمالِ

وسُكونٌ هامِدٌ يمتدُّ

في بردِ الليالي،

ووجوهٌ ترتمي خلفَ قِناعْ...

(لوحة)

أفُقٌ من حَجَرْ

ومدُى كالمرارةِ

سَدَّ مَنافذَهُ صَبرُهُ المنتَظَرْ...

(لوحة)

أُفُقٌ في الحَجَرْ

وفضاءٌ مِنَ الرملِ

فارَ على غَمْغَماتِ البشَرْ...

...ولماذا

حينَ تَستيقظُ الأرضُ مِنْ نَومِها الحجريِّ

يُعاشِرُها العُقمُ حتى غيابِ الفصولْ؟

لماذا يُعاني السؤالُ ٱنتكاساتِهِ

حينَ يَغشاهُ رَيْبُ الفُضولْ؟

لماذا تمرُّ على العينِ كلُّ الجنازاتِ حينَ تُحدِّقُ

بالوطنِ المتمدِّدِ عبرَ المدى/ إنّه يرتدي صوتَهُ

الحجريَّ ويَشتدُّ في طلَبِ الأفْقِ... لكنّما الأفْقُ
ليسَ يقومُ من البُعْدِ والصبرُ يعرجُ في عَتْمَةِ الذاكرَهْ/
أُفُقٌ حَجّرَتْهُ نفوسُ المدى الماكِرَهْ
وشعوبٌ تَفورُ على الصبرِ مِنْ حَطَبٍ
حينَ تَستيقظُ الأرضُ في الصَّحْوَةِ
الباكِرَهْ...

وطنٌ كأنينِ الجياعِ يُناشِدُ أبناءَهُ الصمتَ/
هلْ
يوقِظُ الموتَ صَولَةُ راءٍ
تَمَرَّدَ

أوْ
هلْ يَصيرُ الصدى
عاصِفًا يَصدَعُ الليلَ
والسَغَبَ المتَرَبِّعَ في هَمهَماتِ المدى؟

وطنٌ كالدماءْ
غيرَ أنَّ بقاياهُ مِنْ حَطَبٍ ومَساءْ...

وطنٌ مِنْ هَباءْ
غيرَ أنَّ بهِ غَضَبًا

يَتملْمَلُ تحتَ الثرى كالقَضاءْ.

وطنٌ غارَ فيهِ الوَباءْ
ومَضى في مُيوعَتِهِ
شاهرًا وجهَهُ كالحِذاءْ!

(لوحة):
خارجٌ من قِمّةِ الصمتِ
إلى لونٍ يغيبُ:
كلُّ وجهٍ في المدى وجهي

وكلُّ العُمرِ أشباحٌ تَجوبُ...

خارجٌ مِنْ قِمةِ الصمتِ
إلى صمتِ الهَباءْ:
أيُّ أرضٍ ترتدي شالَ الليالي؟
أيُّ عُمرٍ لَخَّصَ التاريخَ في قُمْقُمِهِ
نَبْضَ مُحالْ؟
أيُّها الخارجُ من جِلْدِ المساءْ
حَنَّطوا في وَهْجِكَ الضائعِ
جُرْحَ الأرضِ
وٱغْتالوا الضِياءْ

وٱنْطَوَتْ في العُهْرِ صَحراءٌ
ورَملٌ زَوْبَعَ الدنيا
بصَحراءِ الفضاءْ...

سُـدّي مَنافـذَنا إليـكِ، أوِ ٱفتَحيهـا، أيَّتُهـا الصحراء،

سُـدّي المـدى المقفـولَ في أَبجديَّـةِ الخَيبـةِ والقَهرِ،

سُـدّي الفضـاءَ بضوضـاءِ الصَـمْتِ وضَـرْبِ التَهاليلِ السوداء،

سُدّي وُجوهَنا بوجوهِنا والليلَ بالليل،
وأهيلي العَتَمَةَ/ آشرَئبّي منَ العيونِ منَ المسامِّ
من القلبِ الغارقِ في الصدى/ لَيْسَ الدربُ
إلّا ضبابَ السقوطِ ليستِ الوحدةُ إلّا فسْخُ
العناصرِ في عمقِ السديم/

سُـــدّي وجوهَنـــا
بوجوهِنـا: لا ملامِـحَ/ لا هيئـةَ/ لا هُويّـةَ/ لا
جِبـاهَ تنظـرُ نحـوَ الشـمسِ/ سُـدّي وُجوهَنـا
بوجوهِنا: كلُّ شيءٍ قَفرٌ باردٌ/ كلُّ شيءٍ رملٌ
في صحراءِ الفضاء.

أيّها الوطنُ المنفَلِتُ من حَبّاتِ الرمل،
أيُّها الوطنُ الغارقُ في لَعْنةِ القَهر
كيفَ السبيلُ إليكَ؟
كيفَ نَستعيدُ الذاكرةَ
والذاكرةُ هَباءٌ مَنسِيّ؟

أيُّها الوطنُ الخارجُ من الزمن
كيفَ يعودُ الزمانُ
والزمانُ لغزٌ أمامَنا؟

لكنْ
بينَ أعمدةِ القَهرِ وصحراءِ الغياب
وجهٌ يشبه السيفَ بينَ الجرحِ والجرحِ بينَ الطعنةِ والطعنة/
وجهٌ يَصهَلُ في وَعرِ الحضور
حينَ يصيرُ الوقتُ نهايةَ المنعَطَف
حينَ يصيرُ الموتُ المزمِنُ
أَبجديّةً للولادة.

(نشيد):
مَشَتِ الدروبُ إليهِ

وٱرتدَتِ المسافةُ عُمقَها
وتَحَصَّنَتْ بالصَبرِ أحلامُ المطرْ...
من أيِّ ثقبٍ في السديمِ يُطِلُّ
حينَ يَطيبُ للتاريخِ تَغييرُ البشرْ؟

(لوحة):
مَشتِ الدروبُ إليهِ
وٱحترقَتْ على خطواتِهِ
دنيا الحجرْ.

(لوحة):

مشتِ الدروبُ إليهِ
وٱنصَعَقَتْ تُراقِبُهُ البَرايا:
يَسحَبُ التاريخَ مِنْ حُكمِ القدَرْ.

(لوحة):

سَيصيرُ في الآتي
بلادًا
ويصيرُ في الآتي
قضاءً وقدَرْ.

من صِراعاتِ الليالي
وٱلتِهابِ الصدَإِ المركومِ في قلبِ الرجالْ
وجعٌ يمتدُّ كالأفعى
وأحلامٌ طِوالْ
ومَساءاتٌ... كأنَّ الأفْقَ من فَحمٍ،
وأَشباحَ التِلالْ
جَثَمَتْ مثلَ مِدادٍ أسودٍ يُرمى على الصدرِ/ ترامى الوجعُ المصفوفُ كالأفعى وغارَتْ في فؤادي جُزُرُ الحُلْمِ/ تَرَجَّحْنا على غُصْنٍ/ تَناسَلْنا على الرملِ/ ولكنَّ السؤالْ
ظلَّ مثلَ الغسقِ الناشزِ يعلو:
"أيُّهذا الطفلُ، قُمْ، بيتي هَواءْ

وشَبابيكي يُغَطّيها سَرابْ
ومَدى الآتي مَتاهاتٌ
وحولي لغةٌ تَطفو
على سِفْرِ الغِيابْ –
أيُّها الطفلُ الضبابْ."

وكيفَ تَسكُننا، أيُّها الأعمى، في الصدإِ المركومِ داخلَ القلب؟ كيفَ تَنفتحُ العينُ على العينِ والقدمينِ والمدى وينفجرُ التاريخُ بينَ حبّاتِ الرمل، تَنفجرُ الذاكرةُ كاللغمِ حولَ المتاهِ؟ كيفَ تَسكُننا، أيُّها المدى المثقوبُ بالموتِ، في الحدودِ الضائعةِ

بينَ العَصرِ والعصر؟ كيفَ تَنفتِحُ علينا، أيُّها الماضي فنغرقُ، وتُشرقُ علينا كما شمسُ الصحراءِ في الهَجيرِ فنغرقُ، وتفغُرُ فاكَ كالقبرِ فنغرقُ – لَوَجهُنا ٱنعِكاسُ الصحراءِ في عواصِفِ القرنِ الجديد، تَرَفُنا التيهُ في المدى المتَرَهِّل، خطوُنا المدى الفارغُ في الأفقِ البرونزيِّ الذي لا ينتهي/

ترَنّمي، أيّتها الصحراءُ، على وجهِنا الملتَمِعِ في الموتِ، ترنّمي.

لِوَجهِنا المصْفَرِّ ألفُ علامةٍ ولا قيمةَ، وألفُ ألفُ شحوب.

لِصَداكِ صَئِيٌّ ثاقِبٌ،
ولَنا
كلُّ هذا الموت،
وكلُّ كلُّ هذا السراب!

الشـــاعرُ يَـــربضُ في أســـوارِ الحَلَـــكِ
المنسَلِّ إلى أعيُنِنا ليُفجِّرَها لغةً وقصائدَ شعرٍ/
لغةٌ

تَتَوجَّسُ تحتَ الرملِ وقَهرٌ –
لغةٌ تَتَوَتّرُ في وَلَهِ الأقصى

وقصـائدُ تنـزفُ حـتى المـوتِ علـى
أشباحِ الليلِ المقهورْ
لغةٌ وقصائدُ شِعرٍ
ومدًى رمليٌّ يهدأ في حَلقي/
لغةٌ وقصائدُ شِعرٍ
وطُيوفُ لُبانٍ وبَخورْ
تخـرجُ مـن أوراقِ الشـاعرِ في وجـهِ
الصـحراءِ/ مـدًى يَكبـو وينـامُ علـى الأرضِ
الرمليَّهْ
وطيـوفٌ تتـوتَّرُ في حَبّـاتِ الرمـلِ
الناريَّهْ،
وسَنًا يَتَحَفَّزُ تحتَ الموتِ

ويَكمنُ في لُغةٍ سرّيَّهْ.
ألشاعِرُ يكسِرُ سَيفَ العَتْمةِ،
يَستَغرقُ في الرؤْيا
ويُضيءُ الوطنَ الجاثِمَ تحتَ الرملِ/
يُشيرُ إليهِ/ يتَوَجَّهُ نحوَ مرارتِهِ ليَسيلَ عليهِ
فَجرًا أَخضرَ أو ليُهَشِّمَ طَبْعَ الصمتِ ويفتحَ
بالغضبِ الطافرِ دربًا خارجَ هَولِ الصحراءِ/
يَسيلُ الشاعرُ فجرًا بينَ حروفِ
الوطنِ
ويرى الموتَ تَرَبَّع فوقَ عروشٍ
زحَفَتْ في الذلِّ وغارَتْ
تحتَ بَلاهَةِ جاهٍ كالكَفَنِ.

أَشباحٌ وهَياكِلُ عَظْمِيَّهْ
تَزْحَفُ كاليَنبوعِ وتَلْعَقُ أحذيَةَ الطُغيانِ
وتَضْرِبُ في الصحراءِ بِلا وجهٍ
أو تَتَرامى عَفَنًا في العَفَنِ
وتَردُّ الحاضِرَ موتًا وصدى يتَقافَزُ فيهِ
الموتُ على حَبّاتِ الرملِ – تُحيلُ الخضرةَ بورًا والأحلامَ كوابيسًا وَحشِيَّهْ...

ألشاعرُ يثقُبُ عرْقَ الأرضِ
ويَرحلُ في دمِها كالإكسيرِ/ تُحَيّيهِ/
ويَخبزُ جرحَ الأرضِ رغيفًا من جُثَثِ الأربابِ

وأشلاءِ العَرشِ/ يمُرُّ كبَرْقٍ

ويُحَيّي بالغَضَبِ الطافرِ جرحَ الارضِ

فَيَندمِلُ

ويمرُّ عليها كعَشيقَتِهِ

يَحْمِلُها في لغةٍ كالنورِ

يُبَرْعِمُ فيها الأمَلُ

يتَوَتَّرُ كالنصِّ المجنونِ على الأحلامِ

الزَهريَّهْ:

ألشاعِرُ يكسِرُ سيفَ العَتْمَةِ

في فَجرِ الأرضِ المطوِيَّهْ...

(لوحة):

رقَصَ الشِعرُ على السيفِ المسلولْ،
نَهَضَ الزمنُ المغلولْ.

(لوحة):

الشعرُ يلوِّنُ رملَ الصحراءْ،
يَتَناثرُ أشكالًا نورانِيَّهْ
ويُخَضِّبُ وجهَ الصمتِ بضَوضاءٍ زَهريَّهْ
وبألفِ بألفِ رِداءْ...

(لوحة):

ألشِعرُ صدى الأفْقِ الخارجِ
من قبرِ الآباءْ.

يخرجُ الشعرُ مِنْ أَبْجَديَّتِهِ البائدةِ إلى الزمانِ المفتوحِ على الآتي بينَ الوَلَهِ والوَلَه بينَ التوَتُّرِ والتوتّر ويصطادُ الوَعْرَ والسقوطَ الرائع/ يخرجُ الشعرُ والشاعِرُ والنصُّ والكلماتُ إلى ضاحي الأفقِ مِنْ نُحاسِ الصحراءِ ويبدأ الوطنُ بالنشيد:

"خارجٌ من حقولِ النحاسْ

أَكسِرُ الصبرَ والمدى
وأُشَرّعُ بابَ المدى
نحوَ أَرضِ التَماسْ..."

يخرجُ الشعرُ من الوطنِ المكسورِ ويُخرجُنا/ المدى صعبٌ والطريقُ وعرةٌ لكنَّ القلبَ مُنفتِحٌ على لونِ الضوضاء/ يخرجُ الشعرُ من حِصارِ الصحراءِ إلى المدى المفتوح/ يحملُ الشعبُ أشجانَه ويفجِّرُها في تَوازُنٍ عجيبٍ بينَ الفوضى والنظام، بينَ الصمتِ والضجيج، بين الوعيِ والجهل/ مدًى لاهِبٌ كالتاريخِ المنفجر/ مدًى لاهِب والذاكرةُ لغمٌ ينسفُ التاريخَ فوقَ أشلاءِ الآباء/

وَمْضٌ ومدًى يتراقصُ حولَ السيلِ المتدافِعِ
في نَبَضاتِ الأرضِ الناريَّهْ —
ومَضَ الشِّعْرُ على الصحراءِ وأَشعَلَها
ومَضَ الشاعرُ وٱفتَضَّ الزمنَ الممنوعَ وأرَّخَ
للآتي في وقعِ الرقصِ الممنوعِ/ تَماسٌ
والأرضُ شَراراتٌ من لهبٍ يخرقُ أحشاءَ
العقمِ ويبذرُ فيها دُنيا من نورٍ وصباحاتٍ
صاهِلَةٍ...
وَمَضَ الشاعرُ في الرقصِ الممنوعِ/ تماسٌ
أرضُ تَماسٍ —

سـقطَ الماضـي في الحاضـرِ والأتي وتَشَـظّى الحَجَرُ المركـومُ على القلـبِ/ تَشَـظّى العـرشُ المرْقـوعُ بلَحْمِ البشرِ:

الناسُ حروفٌ
تَكتبُ نصَّ الشاعرِ
والشاعرُ لُغْمٌ يَتَفَجَّرُ في وجهِ القدرِ/
أرضُ تَماسٍ
حيثُ الرفضُ الممنوعُ بِداياتُ النصِّ
وأَحلامٌ أَبَدِيَّهْ
والشِعرُ تُراثٌ وهُوِيَّهْ...

رقصٌ رقصٌ ممنوعْ/
رَقصٌ حولَ العرشِ المخلوعْ
وتَسَلْسُلُ موسيقى جَسَدِيَّهْ.

رقصٌ رقصٌ ممنوعْ
لوحاتٌ وخُطوطٌ بَشَريَّهْ
ومدًى مُلْتَهِبٌ مِنْ كلماتٍ
تَتلامَسُ أوْ تَتفجَّرُ كالدُنيا
وتُزَنِّرُ وجهَ الزمنِ/
رقصٌ رقصٌ ممنوعْ
وتَماسٌ للزَهوِ وللشَجَنِ/

رقصٌ رقصٌ ممنوعْ
رقصٌ وفَضاءاتٌ زَهرِيَّهْ
يا وجهَ الشاعرِ حينَ يَصيرٌ حَضاراتٍ
ودروبًا تَخرُجُ من أَهْوالِ الماضي
لتُعَبِّدَ آفاقَ الحريَّهْ —
يا وجهَ الأقواسِ القُزَحِيَّهْ
يا إيقاعَ قصائدِنا الناريَّهْ
يا زَهوَ الناسِ وقد خلصوا:
رقَصوا... رقصوا... رقصوا... رقصوا/

رقصٌ رقصٌ ممنوعْ
رقصُ قصائدِنا الغجريَّهْ/
ألشاعرُ يَقْرَعُ بابَ الارضْ/
الشاعرُ يَفتحُ بابَ الرفضْ
والواقعُ نارٌ شعريَّهْ/

رقصٌ رقصٌ ممنوعْ/
رقصٌ حولَ العرشِ المخلوعْ
وتَسلسُلُ موسيقى جسَديَّهْ.

الناسُ حروفٌ

تَكتبُ نصَّ الشاعرِ

والشاعرُ لُغْمٌ يَتَفَجَّرُ في وجهِ القدرِ/

أرضُ تَماسٍ

حيثُ الرفضُ الممنوعُ بِداياتُ النصِّ

وأَحلامٌ أَبَدِيَّهْ

والشِعرُ تُراثٌ وهُوِيَّهْ...